

[إعادة نشر / من لقاء شبكة الحسبة مع الشيخ عطية الله، سنة 2006م]

فائدة وتأمل :

إن المآسي التي يواجهها المسلمون اليوم في العراق وسيواجهونها فيه وفي غيره، هي ضريبة لابد -بحسب سنة الله تعالى- أن يدفعوها ثمناً لسكوتهم الطويل عقوداً وربما قروناً على المنكر والفساد وتركهم للجهد وابتعادهم عن دين الله تعالى...!!!

أويظن مسلمٌ يعرف دينه ويعرف سنة الله أن ذلك يمكن أن يمرّ بدون جزاء أو يمشي سدى؟!!

وهكذا كل الشعوب والأمم التي تغرق في الفساد والركون إلى الظالمين والسكوت عليهم والدخول تحت حكمهم ولا تقاومهم ولا تقوم بواجب الخروج عليهم وتغييرهم وجهادهم، وتنتشر فيها المنكرات وتظهر فيها الموبقات العظيمة، ويموت فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدعو داعي الجهاد فيها فتصدّه وتصدّ عنه، وتزدريه وتقف في صف الطاغوت عليه، وتخلد إلى الراحة في المجون واتباع الأهواء وإشباع الرغبات الجري وراء الشهوات...!

سيأتيها يومٌ تدفع فيه ضريبة كل ذلك.

إن لم يكن هذا الجيل، فالجيل الذي بعده أو الأجيال التي بعده.

لا محالة...!

يغضّ النظر عن كون ما يصيبهم بحق أو باطل، فنحن لا نتكلم عن ذلك هنا.

لكن سيصيبهم جزاء أعمالهم تلك بدون شك.

فَن يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ {

الحروب والحرمان والمآسي والدماء والأشلاء والانتهاكات والتعذيب والفقر والفوضى وجميع الآلام، منهم من يصيبه ويكون رابحاً في النهاية؛ يكفر الله عنه ذنوبه ويؤول إلى الفوز في الجنة ويتخذ الله منهم شهداء وشفعاء، ومنهم من يصيبه نصيبه ويكون خاسراً ويلقى في الآخرة العذاب الأليم..!!

انظروا إلى بلد مثل ليبيا..

طاغوت ملعون ينافع الله في صفاته ويكفر به كفرّاً من أوضح ما يكون، يسوم الناس ألوان الذلة والمهانة، صورة من مسيلمة الكذاب لعنه الله، يستهزئ بالدين والرسول ويحارب الدين وأهل الدين جهرة، يفسق الناس ويكفرهم (يجعلهم كفاراً بدعوته وفتنته) وينشر فيهم الفاحشة وأنواع الفساد والضلال والكفر، ويستمر في حكمه لهذه البلاد وهؤلاء العباد سبعة وثلاثين عاماً، ومعظم الشعب؛ ملايين من الناس، ساكتون عليه، تاركون له، كأن الأمر لا يعينهم، وكأن الله لم يكلفهم به، وكأنهم لم يخلقوا للابتلاء بالتكاليف، بل كأنهم مخلوقون كالأنعام لا تكليف ولا حساب ولا عقاب، وكأن الجهاد لم يفرض عليهم، وكأن دين الله تعالى ومحارمه عز وجل لا تعينهم ولا تهمهم، والأنكى من ذلك أنه عندما يقوم على هذا الطاغوت طائفة من شباب ورجال هذا الشعب ممن أحياى الله قلوبهم ونور بصائرهم وآتاهم تقواهم؛ يجاهدونه وينكرون عليه ويسعون في إزالته، ماذا يكون موقف الشعب؟

موقف سلبي للغاية، أحسنهم وأمثلهم طريقة الساكت التارك الذي كأنه لم ير ولم يسمع، المتبعد النائي بنفسه، الطالب للسلامة، وأي سلامة؟!!

وكثيرٌ منهم المسارعون في إرضاء الطاعوت والوقوف معه، والمبادرون طواعية واختياراً لمساندته لكي تسلم لهم دنياهم ويدفعوا عن أنفسهم التهمة أو ينالوا عنده الخطوة...!!

هل يظنون أن هذا سيمرّ بدون جزاء في الدنيا قبل الآخرة لمن لم يتب ويصلح؟!

لا والله.. معاذ الله..!

سيصيبهم جزاؤهم جميعاً، إن لم يكونوا هم فأولادهم من بعدهم إن استمروا على ما عليه أبائهم.

سيصيبهم بحق أو بباطل.

وسيطلون ويكون ويصرخون ويولولون، وأكثرهم عن أسباب ذلك غافلون.

وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ {يوسف 105}

وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ {يوسف 105}

64، 65

سيصيبهم جزاؤهم..

حروبٌ ومآسٍ ودمارٌ وخرابٌ وفقد وحرمانٌ، وعصابات ونزاعات وفوضى وإجرام ومذابح ومجازر ودماء وأشلاء وفظائع، وأيضا سكين الزرقاوي ومحشوشات المجاهدين وتفجيرات الاستشهاديين وكل شيء...!

الله أعلم أي ذلك؟ كله أو بعضه؟

وقلنا : بحق أو بباطل..!

فتفاصيل تلك الجزاءات وكونها واقعة بحق أو بباطل هذا لا نتكلم عنه الآن، هذا فيه وفيه، وله تفاصيله، تعرف بفقه الشرع، لكن نحن نتكلم عن أن الجزاء لابد منه على ذلك السكوت على الباطل وترك الجهاد وترك دين الله.

وسيكون هناك فائزون وخاسرون.

ما في ذلك شك.

وانتظروا إنا منتظرون.

والعاقبة للتقوى.

وهكذا أهل العراق مع صدام وحكمه وما قبله أيضاً.

وهكذا كل أهل بلدةٍ لا فرق.

قال ربنا عز وجل : {أَقَامِينَ أَهْلَ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ تَائِيَمُونَ} {97} أَوْ أَمِينَ أَهْلَ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ} {98} أَقَامُوا مَكَرَ اللَّهِ فَلَا تَأْمَنُ مَكَرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} {99} أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ تَشَاءُ أَصْبَأَهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} {100} الأعراف

وقال : {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} {هود 102}

وقال : {يُنَزِّلُ الْغُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا} {الكهف 59}

وقال : {إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا }
الإسراء 16

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقال تعالى : {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }
{الأنفال 25

وقال : {لَمَّا تَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ
يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ } {الأعراف 165

ومن الأحاديث :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم".

رواه ابن ماجه والبيهقي والحاكم والطبراني وغيرهم.

والحديث حسنٌ بطرقه وشواهده، وحسنه وصحه الشيخ الألباني.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وبالجملة فهذا معنى متقرر في الكتاب والسنة.

ولا يرد عليه ما ثبت في الصحيح أن الله أعطى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب أمته بسنة عامة.

لأن ذلك في حق الأمة كلها، وهو العذاب العام المستأصل لهم كالذي أهلك الله به الأمم السابقة المكذبة العاصية.

وما نحن بصدده هو في حق أجزائها وأعضائها.

والله أعلم.

نسأل الله تعالى أن يلفظ بنا ويعفو عنا ويرحمنا برحمته ويسترنا بستره الجميل.. آمين